على هامش معالم التقريب *

سر الفطرة الأعظم، فى الاتجاه إلى الله

الفطرة التى أفاض محمد عبد الله محمد فى الحديث عنها وعن أثرها فى توجيه الإنسان، وفى وجهته - فى ملة إبراهيم ومحمد (عليهما السلام) - إلى الله، هذه الفطرة لا تبلى ولا تهرم بمرور الزمن واختلاف الأيام، شأنها فى ذلك شأن العقل نفسه .. لأنها هى أو العقل الإنسانى - لا يرتبطان بالزمان ولا بالمكان

ولكن الصور المكانية والزمانية لهذه الفطرة - تتعدد وتهرم وتبلى تماما، كما تتعدد وتهرم وتبلى صور العقل الإنسانى فى الأمكنة والأزمنة المختلفة .. فالاتجاه إلى الله تعالى لا ينقطع فى أى زمن، اتجه إليه سبحانه ماضون، وخلفهم متجهون آخرون فى هذا الاتجاه، وسيلحق بهم آخرون .. وهكذا إلى آخر الزمان ..

وصور هذا الاتجاه فى أشكاله وحالاته وأماراته ورموزه - قد تعددت وتتعدد، واختلفت وتختلف، وتعرض بعض ما ارتبط منها بمكان معين وزمان معين للهرم والبلى، وحل جديد محل القديم الذى لم يعد كافيا لأداء مهمته المطلوبة منه، وهى إيقاظ واجتذاب العقول والنفوس الجديدة وجمعها فى اتجاه الله تبارك وتعالى.

والمقدسات من ذكرى وسيرة وألفاظ وأماكن وأشياء - هى مصابيح وشارات ورموز على طريق الله.. مرتبطة حتما بأمكنة وأزمنة يجرى عليها ما جرى ويجرى على سائر مخلوقات الله .. لا

* المال ٢٠١١/٥/٥

يحفظها الاّ حفظ الله تعالى لها، وأن تظل مؤدية بكفاية مهمتها فى إنارة طريقه عز وجل وتصحيح الاتجاه إليه.

هذه المقدسات لا يحفظها أن نعتبرها نهائية مطلقة باقية بقاء الله عز وجل، ولا أن نخلط بينها وبين ذات الله عز وجل، ولا أن نعبدها (؟!) كما نعبد الله عز وجل .. فذلك افراط ومبالغة تفسد توحيدنا وتقطع اتجاهنا إلى الله تعالى وحده لا شريك له . كل المقدسات كلمات من كلمات الله، وليست إلا كلمات من كلمات الله .. يقول جل شأنه " قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (الكهف ١٠٩، ١١٠).

ليس فى ملّة إبراهيم، وهى ملّة محمد عليهما الصلاة والسلام ـ أسرار كما فى كثير من الملل.. اللهم إلا سر الفطرة الأعظم .. الذى به يعى المخلوق المسكين الضعيف ذاته ويحس بالحرية والاختيار والمسئولية تجاه خالقه تبارك وتعالى.. سر الفطرة الذى به أمكن أن يبادل ابنى آدم ربه عز وجل ـ الحوار بالمحبة والنصرة والرضا، وأن يعقد معه ـ سبحانه ـ العقود والعهود والمواثيق .. هذا السر هو مناط اختيار الخالق عز وجل للإنسان من بين سائر الأحياء والجمادات ـ واصطفائه ليكون حاملاً للأمانة التى بها يحفظ أمانة العقل وأمانة الخلافة فى الأرض.

ها أنت ترى أن ملّة إبراهيم بسيطة، ولكنها ليست سهلة وليست سطحية .. وقد سبق لمحمد عبدالله محمد أن أشار فيما سبق إلى وجوب الالتفات لعدم الخلط بين بساطة الإسلام وبين السهولة .. وأنه من الخطأ ـ الاعتقاد بسهولة الإسلام بمعنى أنه لا يقتضى من

المسلم جهداً ولا عزيمة ولا تضحيات.. فليس الإخلاص لله - وهو لب الإسلام - أمراً هيناً أو ليناً .. ولا يمكن التهوين من المجاهدة التى يبذلها المسلم ليلتزم الصدق والحق والعدل والقسط ومخافة الله فى معاملة الناس. ليس فى مقدور المسلم بدعوى بساطة الإسلام أن يتحفف من هذه الواجبات. فبساطة الإسلام لا تعنى البلادة أو مخالفة كل ما هو جوهرى فى الإسلام.

كذلك ليست ملة إبراهيم سطحية، وكيف تكون سطحية وهى تفتح أعماق الإنسان على خالقه وتطالبه بتسليم أعماقه كلها لخالقه بلا تحفظ ؟ وتتقاضاه الإخلاص والولاء الذين لا يساويهماولا يضارعهما أى إخلاص أو ولاء لأى مخلوق أيّا كان ..

إن الإنسان الذى جعل الله سبحانه وتعالى طائره فى عنقه، قد هيأ له الله تعالى - بالفطرة الإنسانية - أن يتعارف ويتعايش فى حياة مشتركة تتبادل فى الله - الإخلاص فى المودّات والمعونات والعواطف والرحمات، وأن تتساند بالإجتماع المادى والمعنوى - لنمو وتفتح ملكات الإنسان واستعداداته وطاقاته.. خاصة طاقته الروحية.

لذلك فإن الرهبنة أو اعتزال الناس لمجرد النسك والتفرغ للعبادة - شىء ليس فى ملة إبراهيم، لأنه ليس فى الفطرة العامة .. وتجاهل ما هو أساس وغريزي فى أجسامنا وسد منافذه المشروعة المعقولة - طلباً للكمال أو التأله - ليس له سند فى ملة إبراهيم، لأنه ليس له سند من الفطرة العامة

وعرفت الفطرة الإنسانية أن حب المال هو العدو الذى يسحب قلب الإنسان سحباً شديداً بعيداً عن الله عز وجل .. لذلك لم يسمح المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لم يسمح للمال ان يقتحم حياته الخاصة قط، ولا أن يتسرب إلى أهل بيته قط إلى أن

ختاره الله إليه بلا تركة وبلا حق فى أن يكون له ورثة .. ولم
خلف عليه الصلاة والسلام لأهله إلا ما خلفه للمسلمين جميعا،
وهو النبوة ورسالة النبوة التى بهديها يتقارب المسلمون فى اتجاههم
ى الله عز وجل.